

خواطر في تطور التهاني

الكاتب



عبد اللطيف الزبيدي

بعد التهنئات بالعيد السعيد، وأمنيات العمر المديد، هل يغتنم الخاطر المناسبة للسفر في مقلب السنين: كيف ستكون الأعياد في العصر الرقمي؟ ما الذي سيتغير في المفاهيم والرؤى، في التهنئات، في الأمنيات؟ هل يحتاج الناس إلى استعدادات، إلى تأهيلات؟

لا تزال آراء الفلاسفة اليونانيين في شأن الضروريات وأنواعها الثلاثة، صالحة للاستعمال الفكري، فالحاجات الضرورية الطبيعية لدى الإنسان لم تتغير عبر العصور، ولن تتغير حتى قرن وربما قرون على الأرجح، وهي: الهواء، الماء والطعام. لهذا عندما نقول: كل عام وأنتم بخير، ترتسم، ولو في خلفية اللاوعي، مشاهد الخصب والماء والنماء، قطعان الماشية ومراعي المروج، وتهلل الأساريير بالسرور عند سماع «جاءك الغيث»، عندها تنساب سيمفونية الحرث والبذار إلى الحصاد. أليست مفردة خير تعني المطر أيضاً في موروثنا الشعبي والفصيح على السواء: «وسحاب الخير له مطر.. فإذا جاء الإبنان تجي»؟

اليوم أيضاً لم تتغير خلفية مشاهد اللاوعي في «كل عام وأنتم بخير»، لا أراكم الله جوعاً ولا مجاعة، وجعل الحقول والمزارع تتدفق بالأغذية، والموانئ والمطارات تستقبل، والأسواق مزدهرة، والمحال والمطاعم حافلة بالأطياب والذائذ. لكن الحياة تتطور وتغير أنماطها وأساليبها. عندما تتحول المفاهيم الاقتصادية، تتغير المفاهيم جميعاً، مع العلم أن التحولات الاقتصادية في التاريخ كله كانت تحولات علمية، من اختراع العجلة، إلى الآلة البخارية، إلى معادلات ماكسويل في الكهرومغناطيسية، واقتصاد التريلينات الذي قام عليها حتى الساعة وإلى مديات بعيدة. لك أن تكمل القائمة بعصور البرونز، الحديد، النفط، الطاقة النووية. هل نسيت الطباعة والورق، الذبذبات الراديوية، صناعة الأدوية، الكل في الكل في كل شيء؟

العلوم تبتكر وتبتدع، والاقتصاد للترويج والتسويق وإقامة مراكز قوى المال، التي تصبح هي ذاتها محاور جاذبية سياسية، اقتصادية، علمية، ثقافية، وما يجلبه التنافس عالمياً من صدام الصراع.

في المستقبل لن تغيب رومانسية «كل عام وأنتم بخير»، ستظل قلوب الطيّبات والطيّبين مفعمة بالصفاء والنقاء، تتمنى للناس أن يجودهم الغيث الإلكتروني بالخير الرقمي، فتزدهر حقول الحساب الثنائي والكموميّ بحلول لمئة تحدّ، على جيش من مئة ألف مبرمج أن يرفعوا رايات النصر على قلاعها وحصونها.

من كان يجول بخياله أن الإلكتروني سيصير ملك ملوك الاقتصاد العالمي، فهو المادّة الأولى للبضاعة، هو البضاعة، هو الذي يروّج لها، هو الذي يبيعها، هو الذي يبتاعها، وهو الذي يستهلكها؟

لزوم ما يلزم: النتيجة التجديدية: كل عام وأنتم بخير رقميّ

abuzzabaed@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024.